

ما ليس له من ألوهية أو نبوة أو حلول، فذكرت أن عيسى لم يكن إلا من آل عمران الذين اصطفاهم الله بين من اصطفى، وأن ولادته لم تكن إلا تنفيذاً لإرادة الله الذي يصور الناس في الأرحام كيف يشاء، والذي له سنن عرف منها ما عرف وجهل ما جهل، والذي إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون، شأنه في خلق السموات والأرض عامة، وفي خلق آدم وفي خلق يحيى بن زكريا خاصة، "و هو الذي خلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون"، "إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون"، "فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحوراً ونبياً من الصالحين، قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغننى الكبر وامرأتى عاقراً؟ قال كذلك الله يفعل ما يشاء".

هذا الذي ذكره الله في شأن خلق السموات والأرض، خلق آدم ويحيى؛ هو عين ما ذكره في شأن خلق عيسى؛ وجدت السموات والأرض إنشاء وإبداعاً، ووجد آدم من غير أب وأم، ووجد يحيى على كبر من أبيه، ويأس من أمه، وبشرت الملائكة زكريا بيحيى، وتعجب زكريا من هذه البشارة مع حاله، فردّه الله إلى مشيئته "كذلك الله يفعل ما يشاء" وهكذا كان شأن عيسى؛ وجد من غير أب بمشيئة الله، وبشرت الملائكة به أمه بأمر الله، وعجبت مريم لهذه البشارة "قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر" فردّها الله إلى مشيئته "قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون".

ثم تعرض السورة بعد هذا إلى أن الخوارق التي ظهرت على يد عيسى لم تكن إلا من سنة الله في تأييد رسله بالمعجزات الدالة على أنهم عباد علمهم الله الكتاب والحكمة، وأن الله أرسله إلى بنى إسرائيل بآيات من ربه "أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبري، الأكهم والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين، ومصدقا لما بين يدي من التوراة والأحل لكم